نتيشه / بدوى

ا.د / أحمد عبد الحليم عطية

(آداب القاهرة)

obeikandl.com

obeikandl.com

تتوزع الجهود الفلسفية للدكتور بدوى بين مجالات فلسفية متعددة، بين مبتكرات، ودراسات، وإسلاميات، وترجمات، ويمتزج فى أعماله التأليف بالترجمة والتحقيق. يتوقف البعض أمام المبتكرات التى يختلط فيها الإبداع الفلسفى بالأدبى ويظهر فى مقدمتها: الزمان الوجودى وهل يمكن قيام أخلاق وجودية؟.... وفى الأبحاث نجد دراسات فى الفلسفة الوجودية.... وفى الإسلاميات نجد الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى. وفى خلاصة الفكر الأوروبى قدم عدداً من الفلاسفة والدراسات: أولها وأهمها كتابه عن «نيتشه» الذى يعد - من وجهه نظرنا - أقرب إلى إبداعات بدوى لأسباب متعددة، ليس فقط لأنه أول كتاباته ولم يصدره باعتباره جزءاً من مهامه التدريسية بالجامعة، ولا لأنه أول دراسة فلسفية بالعربية عن نيتشه، المعروف جيداً فى ثقافتنا قبل نشر بدوى كتابه، بل ترجع أهمية كتاب بدوى عن نيتشه إلى سببين هامين.

الأول: سبب سياسى خالص، حيث مثّل فكر نيتشه بالنسبة له الأساس النظرى لتوجهه السياسى، المتمثل فى انتمائه لحزب (مصر الفتاة) فى فترة مبكرة من حياته، بعد تخرجه مباشرة وعمله بالجامعة، حيث كان مسئول العلاقات الخارجية بالحزب، وتمثل كتاباته عن المشكلات السياسية والمذاهب السياسية: عن الفاشية والنازية، الأساس النظرى لسياسة مصر الفتاة.(١)

الثانى: سبب ذاتى تماماً يتمثل فى ارتباط بدوى الوثيق بحياة وأفكار شخصية نتيشه الأرستقراطية المتحررة وثورته ورفضه للعادات والقيم القديمة ونظراته الثاقبة فى الحياة والكون التى تمثل سمواً نظرياً وثورة روحية ذات تأثير فى العقول يفوق سلطة الهيئة الاجتماعية والدول بمؤسساتها المختلفة مما أوجد نوعاً من التقارب، إن لم يكن من التطابق والتوحد، بين الرائد العربى والمفكر الألمانى الذى أعلى من الإرادة والوجدان. وبدوى نفسه يعترف - فيما كتبه عن نفسه - بتأثير نيتشه القوى عليه. يقول عن نفسه: «فيلسوف مصرى ومؤرخ للفلسفة. فلسفته هى الفلسفة الوجودية فى الاتجاه الذى بدأه هيدجر.... وقد أحاط علماً بكل تاريخ الفلسفة.

وتعمق فى مذاهب الفلاسفة المختلفين، والألمان منهم بخاصة. لكن أقوى تأثير فى تطوره الفلسفى إنما يرجع إلى اثنين هما هيدجر ونيتشه»[٢]

وقد ظهر تأثره بهيدجر فى كتابه «الزمان الوجودى» ١٩٤٥ وهو تأثير يحتاج إلى تفصيل. إلا أن مهمتناهنا هى دراسة أثر نيتشه فى بدوى. فالثورة والتمرد وزعزعة الأفكار السائدة وقلب القيم المتعارف عليها - التى تمثل دعوة نيتشه - وجدت صدى عند المفكر العربى. ومن هنا فالسؤال المحورى الذى نسعى لطرحه والإجابة عنه هو خصوصية نيتشه فى فكر بدوى وأهمية كتاب بدوى عن الفيلسوف الألمانى الذى أثر فى وعى جيل كامل من المثقفين العرب ممن وجدوا فى بدوى تجسيداً لأفكار نيتشه. أو بعبارة أخرى يمكن القول إن تأثير بدوى الكبير يرجع إلى حماسته فى الكتابة عن نيتشه ويمكن أن نستشهد ببعض الآراء فى هذا المجال: يقول محمود أمين العالم «إن الدكتور بدوى كان يمثل ذات يوم دعوة للخلاص لطائفة من المثقفين أثناء الحرب العالمية الثانية. وكنت واحداً من السائرين فى طريقه. كنا نلتهم كلماته كأنها الخبز المقدس ونعانى أفكاره معاناة حادة جادة... وأذكر أننى ذهبت إلى الجامعة أول ما ذهبت محملاً بالنموذج الأسطورى الذى بشر به نيتشه (الإنسان الأعلى).. ولهذا كان عبد الرحمن بدوى أول تجسيد أمام عينى لهذا لنموذج، كان تجسيداً لإرادة القوة، لأخلاق السادة، ولهذا الحبل المنصوب فوق الهاوية الذى يسير عليه الإنسان نحو الإنسان الأعلى».[٣]

ويدلى الشاعر المبدع محمد عفيفى مطر بشهادة «من مقصورة المتفرجين» يقول «لم يكن يعلم هذا المراهق الريفى أن لحظة من لحظات الزلزال الروحى قد ألقت بين يديه بكتاب قديم مهلهل سوف يعصف به ويفتح أمامه باب الفطام عن كل ما قرأ ووعى، ويرمى بين جوانحه بجمرة متوقدة يصدق عليها قول صاحبها «إحراق واحتراق... تلك كانت حياتى». كان الكتاب هو نيتشه لمؤلفه - وأستاذى فيما بعد - عبد الرحمن بدوى»[٤] ونجد نفس التأثير الذى مارسه بدوى على عدد كبير من المثقفين فى شهادة د. ماهر شفيق عن تأثير بدوى عليه فى مرحلة مبكرة من حياته فى قوله: كان كل كتاب جديد، مولفاً أو مترجماً، يقرؤه المرء لبدوى كشفاً جديداً

وتجربة تهز من الأعماق... كان عبد الرحمن بدوى هو الذى قدم إلى نداءات نيتشه النارية «عيشوا فى خطر. ابنوا مدنكم قرب بركان ڤيزوف. أرسلوا سفنكم إلى بحار مجهولة»،،، «لهذا نظل - مع كل التحفظات، وهى تحفظات مهمة وأساسية - مدينين له إلى آخر لحظة فى حياتنا»(٥)

وقبل أن نواصل حديثنا نشير إلى ملاحظة هامة بخصوص الشهادات السابقة والتأثير القوى الذى مارسته أفكار بدوى عن نيتشه، وهو تأثير تم فى مرحلة مبكرة فى حياة هؤلاء، وسرعان ما تحول كثير منهم عن هذا الاتجاه إلى دراسات أكثر تعمقاً أو إلى التفرغ التام للإبداع الشعرى أو إلى مواقف فلسفية مضادة تماماً لهذا الاتجاه الوجودى النيتشوى الذى دعا إليه بدوى.

إن تأثير نيتشه فى تزايد مستمر وهو تأثير لم يظهر فى حياة الفيلسوف بل ظهر قوياً بعد وفاته. تنبأ نيتشه بأنه ستنشأ - فى يوم من الأيام - كراسى جامعية خاصة من أجل دراسة كتابه (زراد شت)، وهى نبوءة تحققت ضد جميع التوقعات. ففى أوائل القرن العشرين كان زرادشت - من دون ريب - المؤلف الأشهر فى ألمانيا ، وكانت شعبيته وعدد طبعاته فى ازدياد متصل. هكذا كتب ستيبان أورويف فى مقدمة كتابه «على دروب زرادشت» فأفكار نيتشه - كما يرى - لم تمارس فحسب، ولا تزال، تأثيراً هائلاً فى الفكر البورجوازى النظرى بل تستخدم بصورة فعالة فى النضال الأيديولوجى من حيث هى نقيضة التصور التقدمى عن العالم المؤسس على المعرفة العلمية للقوانين الموضوعية لتطور الطبيعة والتاريخ والفكر البشرى.... ونظراً لأن النيتشوية ليست عقيدة رسمية، فقد احتفظت بشهرة الفلسفة النقدية المستقلة التى تسمو فوق غرور النزعات النظرية والأيديولوجية والسياسية»(٦)

يستعرض أورويف فى الفصل الأول من كتابه: (الأسس النظرية للنيشوية)، بينما تشكل الفصول الثلاثة التالية محاولة لتتبع تأثير نيتشه على الصعيدين التاريخى والفلسفى داخل بعض التيارات الفلسفية فى ألمانيا منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أيامنا الحاضرة، حيث يتناول فى الفصل الثانى «من زرادشت إلى أسطورة القرن العشرين»: الفلسفة الأكاديمية للحياة عند دلتاى، ج سيمل وماكس شيلر،

والمصير والنفس والفكر لدى ازفلد شبنجلر ولودفيج كلاجيس، فلسفة نيتشه والفاشية: ألفريد باوملر، و ألفريد روزنبرج. ويعرض فى فقرات الفصل الثالث «عودة زرادشت الجديدة» لكل من: فيبر، وكارل لوفيت، وأوجين فينك. بينما يخصص الفصل الرابع «دروب الوجودية التى لا تقود إلى أى مكان لكل من: كارل ياسبرز ومارتن هيدجر، وا ف بولنوف. وهى شخصيات كتب بدوى عن كثير منها.[٧]

ويلاحظ سيتبان أورويف أن النيتشوية - من حيث هى تيار فلسفى - لايمثلها إلا فيلسوف واحد هو نيتشه نفسه، إذا إن تلامذته الأشهر فضّلوا أن يؤسسوا «مدراسهم الخاصة» كما أن أنصاره وشارحيه الكثيرين لم يضيفوا كلمة واحدة إلى فلسفته، لقد اكتفوا بتكييف تعاليمه مع أذواق المستهلكين المثقفين، شاقين بذلك له درباً نحو فكر الانتلجنسيا البرجوازية وروحها. فهل اكتفى بدوى - ومن قبله الكتاب العرب - بهذه المهمة، أم أنهم طوعوا أفكار نيتشه لخدمة قضاياهم واهتماماتهم، وهذا يقتضى منا الوقوف على صورة نيتشه فى الثقافة العربية قبل كتاب بدوى الصادر ١٩٣٩ وبعده، وما أضافه بدوى إلى هذه الاهتمامات.

يرجع الفضل إلى فرح أنطون فى تقديم فلسفة نيتشه إلى العربية عام ١٩٠٧ - حسب زعمه - يقول فى الجزء الثالث من مجلة (الجامعة)، السنة السادسة أبريل ١٩٠٨:

«قلنا فى الجزء الثانى الذى ظهر فى أول فبراير مانصه: «نظن أن اسم الفيلسوف نيتيش الألمانى لم يرد فى اللغة العربية قبل الصفحة التى لخصت فيها (الجامعة) شيئاً من فلسفته السنة الماضية»[٨] ويعرض لأساس فلسفة نيتشه الذى جاءت فلسفته ضد كل الجهود التى بذلها الفلاسفة فى أوروبا، يقول فرح أنطون: «بينما هذه العقول والنفوس الكبيرة آخذة فى بناء الهيئة الاجتماعية وهى تظن أنها بلغت منتهى العلم والفكر وأن لا جديد بعد مبادئها هذه وإذا بنيتيش يقوم عليها قومه شديدة ينشر عليها ردوده...» إن ما يحدث فى أوربا مشابه لما يحدث فى الشرق الذى يحتاج أبناؤه إلى مثل أفكار نيتشه «مازلنا نعتقد بما جهرنا به منذ سنتين يوم شرعنا لأول مرة فى تلخليص فلسفة نيتيش وهو أن مبادئ هذا الرجل تحتوى على

كثير من الحقائق الضرورية للحياة وعلى أبناء الشرق أن يطّلعوا عليها ليشددوا نفوسهم بها.[٩]

وهو يريد بهذه المبادئ تلك المبادئ التى صب فيها نيتشه كل ما أعطى من قوة النفس وحماسها لتحبّب الحياة والنشاط والقوة إلى الناس، وخلْقُهم بهذه الصفات خلقاً جديداً أو سحق الانحطاط فى النفوس والهمم والأمم. كما أنها تحتوى على كثير من المبادئ التى لا نرى الآن موضعاً لها فى الشرق.. ويؤكد لنا أنطون خطته فى نقل فلسفة نيتشه وهى أن يلخص منها كل ما لايمس الأديان والعادات الحاضرة «لأن غرضنا هو استخراج لباب القوة والحماسة من كتبه والإعراض عما بقى»[١٠].

كتب فرح أنطون شعراً على غرار مبادئ نيتشه كما يتضح فى «القصيدة على الجبل: بين نيتيش وتولستوى»[١١] ويقوم بتعريب زاراتوسترا، وهو كما يقول أبلغ كتب الفيلسوف وأجملها «ويجعل منه أجمل أثر أدبى فى العالم» وإذا جعلنا مقارنة بينه وبين سائر أعمال البشر وجدناها جميعا دونه. وصواعقه تنقض نحو مستقبل لم يفطن إليه أحد بعد»[١٢] وتحت عنوان «مسائل ورسائل» نشرت المجلة رسالة نقولا معلوف التى يقول فيها: وددت لوأنكم تلخصون كل أقوال نيتيش (دون حذف شىء منها) وتعلقون عليها حواشى اعتراضاتكم وأفكاركم. وأن لا تخذفوا المبادئ الكثيرة التى لاترون لها موضعا فى الشرق، ولا يمكن العمل بها، بل تتحفون قُرّاءكم بها كلها، وردّت (الجامعة) موضّحة موقفها بقولها: «لقد قصدنا أن نحذف منها كل ما هو بحث دينى محض لأننا أبعد الناس عن البحث الدينى الذى لا فائدة منه. وأما المواضيع المتصلة بالمباحث الاجتماعية والفلسفية فإننا نبقيها كما هى»[١٣].

لم تتوقف الكتابات عن نيتشه منذ بدأت مجلة (الجامعة) التعريف بفلسفته والتعريب لكتابه (هكذا تلكم زرادشت)، إلا أن ما يلفت النظر إلى هذه الكتابات المختلفة هو تناولها لحياة نيتشه ومؤلفاته وجنونه والمرأة فى حياته والموضوع الذى يجذب الانتباه فى فلسفته هو الإنسان الأعلى (السوبرمان). الملاحظة الثانية أن معظم هذه الكتابات هى نقل لآراء مؤلفين فرنسيين أو تلخيص لمؤلفات أوروبية عن نيتشه، وذلك على الوجه التالى:

تناول إدوار منسى علاقة نتيشه بالموسيقار فجنر فى دراسة نشرت على حلقتين فى مجلة (الثقافة) بعنوان «بين نيتشه وفجنر»[١٤] وعلاقته بلوسالومى دراسة بنفس المجلة «امرأة فى حياة نيتشه» كذلك كتب فى (الهلال) بإمضاء أ. م «غرام الفيلسوف نيتشه»[١٥] وتناولت مجلة (المقتطف) عرض فلسفة بالمجلد ٤٦ يناير ١٩١٥ «الفيلسوف نيتشه» دون توقيع[١٦] وعرض جيب جاماتى «جنون نيتش» بمجلة الهلال[١٧] وإبراهيم إبراهيم يوسف «أثر نيتشه» بالمقتطف[١٨] وترجم محمد فهمى (أغنية الليل) من (هكذا تلكم زرادشت) بالمقتطف[١٩] وكتب سلامة موسى «نيتشه وابن الإنسان» بالمقتطف الملجد ٣٤ فى ١٩٠٩[٢٠] وعرض أحمد أمين «السوبرمان أو الإنسان الكامل » فى حلقتين بمجلة (الثقافة) نقلا عن P.D.Ouspemk[٢١] كما كتب عبد الحميد سالم عدة دراسات حول نيتشه هى «لما قرأت الفيلسوف نيتشه للناقد الفرنسى إميل فاجيه على عدة أعداد بمجلة (العصور) أعوام ١٩٢٨، ١٩٢٩[٢٢] كما عرض «فلسفة نيتش عن هنرى ليختبنبرجيه» الأستاذ بالسوربون (العصور) أبريل ١٩٢٩[٢٣] إلا أن الجدل الهام حول فلسفة نيتشه وأفكاره وعلاقتها بالدين والعلم هو ما أثارته ترجمة فليكس فارس لـ «هكذا تكلم زرادشت» حيث اندفع الناقد الدكتور إسماعيل أدهم لمناقشة الترجمة وفهم فارس لفلسفة نيتشه أو تأويله لأفكار الفيلسوف الألمانى.

ويبرر المترجم والناقد عملهما بالرغبة فى نهضة الشرق، لقد استجاب فليكس فارس لرأى من أشاروا عليه بالترجمة «لتسديد عزم الشبيبة فى هذه المرحلة التى يتوقف على نهضتنا فيها مستقبلنا واستعادة أمجاد تاريخنا»[٢٤] دعنا نتتبع دوافعه إلى ترجمة الكتاب: «إن ما دعانا وأصحابنا المشار إليهم إلى تقرير ترجمة زرادشت هو أننا نظرنا إلى فلسفته من الوجهة الملامسة للمبادئ الدينية والأخلاقية التى تتجه إلى إحياء حضارتنا القديمة على أساسها، وقد رأينا أن هذا المؤلف الفريد فى نوعه ليس من الكتب التى تُنقل إلى بياننا لما لها من قيمة فلسفية وأدبية فحسب، بل هو من الكتب التى يجدر بالناشئة العربية درسها كما يدرسها طلاب الجامعات فى كل

قطر أوربى.. (فقد) إشتمل من المبادئ على ما كان ولا يزال محور الخلاف المستحكم بين ذهنيته وذهنية الشرق العربى بوجه خاص»[٢٥] ويشير فارس إلى القضايا موضع الخلاف منحازا إلى الشرق والدين ويتناول الناقد ليس أفكار نيتشه فحسب بل فهم المترجم وتأويله لها.

فإذا كان نيتشه يريد خلق الإنسان المتفوق جباراً كشمشون، وشاعراً كداود، وحكيماً كسليمان، فهو يكلف الطبيعة ما لا قبل لهابه. فإن فارس يرى أن فى الحياة مسالك خطتها الإرادة. الكلية وليس للإرادة الجزئية أن تتناولها بتحوير، فمصاعد الرقى للأرواح منتصبة من كل مسلك فى عالم الظاهر نحو العالم الخفى، وما خصت العناية أقوياء الجسوم بالارتقاء».[٢٦] ويفرق بين نوعين للوصول إلى الرجل المتفوق: طريق العلماء فى الغرب، وطريق الدين فى الشرق. أما نحن، أبناء هذا الشرق الذي انبثق الحق فيه انصباباً من الداخل بالإلهام لا تلمساً من الخارج، فلنا المسلك المفتوح منفرجاً أمامنا للإعلاء والخروج إلى النور بعد هذا الليل الطويل إذا نحن أخذنا بروح ما أوحاه الحق إلينا. لا بترقية الزراعة والصناعة ولا بنشر التعليم والتهذيب ولا بجعل البلاد جنةً ثراءً وتنظيماً، تنشأ الأمة ويخلق الشعب الحر السعيد»[٢٧]

إن فارس يقدر نيتشه تقديرا عالياً ويرفض - فى نفس الوقت - موقفه من الدين ويريد أن يفسره تفسيراً يقربه من الدين. يقول: «إننا لم نر كفراً أقرب إلى الإيمان من كفر هذا المفكر الجبار الثائر الذى ينادى بموت الآلهة، ثم يراه متجليا أمامه فى كل نفس تخفق بين جوانح الإنسان من نسمته الخالدة».[٢٨] ويعطينا تأويلاً لبعض نصوص نيتشه على لسان زرادشت تجعله أقرب إلى الإيمان، خاصة الفصل الذى عنوانه «بين غادتين فى الصحراء» مما دفع إسماعيل أدهم إلى نقد ما قدمه فارس، الذى يعده من أعلام البيان فى الشرق العربى عرفته لغة الضاد ذائداً عن حياضها أمام تيار العجمة الدخيل، وعرفه الشرق العربى رسولاً يرفع رسالة غيبيات الشرق إلى أمام يقينيات أوربا الجارفة.

يرى أدهم أن أفكار المترجم كانت تتسرب إلى تفكير نتيشه فتختلط به أو تجعل

كلامه ينحرف بعض الانحراف ويعطى أمثلة لذلك بفصل «بين غادتين فى الصحراء». يرى فارس أن «أسد الصحراء» رمز للنبى، رمز لانبعاث الفضائل العليا وتحررها على الجحود والتضعضع فى الحياة» بينما هو عند أدهم رمز للعقل الإنسانى الطموح إلى نيل حريته وبسط سيطرته على حياته؛ أما الصحراء فيفهمها على أنها الحياة المتحررة. أما صرخة الأسد أمام غادات الصحراء فهى صرخة الإرادة فى الإنسان الطموح لنيل حريته، وغادتا الصحراء، هنا هما فضائل الحياة.[٢٩] وبينما يرى المترجم أن نيتشه يكلف الطبيعة مالا قبل لها به ويطمح إلى إيجاد جبابرة لا يصلحون لشىء فى المجتمع لأن الحيوية لا تنصرف من مختلف نوافذها الجسمية فى آن واحد دون أن تقبض على صاحبها لتوقفه فى سلم الارتقاء على مرتبة معلقة بين الاعتلاء والانحطاط، يرى أدهم فى نقده أن هذا الاعتراض لا يصح على نيتشه ذلك أنه يقيم فكرته فى مجىء السوبر مان من ازدياد القوى الحيوية عن طريق ترك المجال للتنازع للبقاء فيبقى القوى الأصلح.[٣٠]

وعن فكرة فارس «أن الدين الذى يهاجمه نيتشه إنما هو صورة لأصل شوهها الغرب، وهى فكرة متكررة عنده، يرى إسماعيل أدهم أنها فكرة خاطئة. فالغرب لم يشوه الدين الذى أخذه من الشرق، وإنما كل ما فعله أنه جعله يتكافأ مع طبيعته الحيوية الإنسانية فأصبغ عليه صوراً ليست منه، ولكنها من طبيعته، فكان من ذلك صورة الدين تغاير الصورة التى هى عليها فى الشرق. فالغرب كيّف الدين على حسب طبيعته حتى يقبله، وهذا التكيف هو – فى الواقع – خلع للثوب الغيبى عن الأديان وجعله إنسانياً. ومن هنا فهو يرى أن نيتشه لم يفعل أكثر مما استلزمته عقليته الآرية وعقله الإنسانى المتحرر من تقاليد الماضى، وهو لم يحاول أن يجعل الإنسان يفلت من حدود إنسانيته بل عمل على أن يرد الإنسان لحقيقته فى عالم الطبيعة بعد أن حاولت الأديان أن تفلته من حدود الطبيعة وتجعله خاضعاً لما وراء الطبيعة حتى أصبح الإنسان حيواناً ميتا فيزيقياً».[٣١]

إن وقوف فارس عند الدين باعتباره المرجعية لفهم أفكار نتيشه وتأويلها ليفيد منها أبناء الشرق هو أحد الوجوه فى القضية والوجه الآخر، هو قبول أدهم بالعلم أو

بنظرية التطور التى هى سبيل الرقى الإنسانى، ومن هنا فهو يحدد الاختلاف بينهما فى قوله: «صديقى المترجم رجل غيبى وأنا رجل ضد الغيبيات على خط مستقيم... والناحية الغيبية عند صديقى هى التى جعلته ينكر التطور كحقيقة بيولوجية». إن فليكس فارس لم يقف على حقيقة البحوث التطورية الحديثة.. وهو ينكر التطور كحقيقة علمية، وهنا موضع الافتراق بيننا».[٣٢]

وقبل هذه المعركة النقدية بخمسة عشر عاماً قدم العقاد عدة دراسات يقارن فيها بين نيتشه والمتنبى، فقد نشر فى (البلاغ) فى ٣١ ديسمبر ١٩٢٣ مقالاً بعنوان «فلسفة المتنبى» أوضح فيها أن للمتنبى مذهباً خاصاً فى الحياة ويعطينا أمثله عديدة من أشعاره توضح هذا المذهب ويختتم مقالته بأن من يطالع هذه الأمثلة لا يسعه إلا أن يذكر نظائرها من فلسفة فردريك نيتشه نبى القوة فى العصر الحديث، وأن يميل إلى المقابلة بين هذه الآراء المتماثلة فى مذهب الشاعر العربى ومذهب المفكر الألمانى»،[٣٣] ويخصص مقالة ثانية عن فلسفة المتنبى وفلسفة نيتشه» (البلاغ ٧ يناير ١٩٢٤) يؤكد فيها أن آراء شاعرنا وآراء المفكر الألمانى تتفق فى مسائل كثيرة اتفاقاً توأمياً لا نعلم أعجب منه اتفاقاً بين نابغين مفكرين ينتمى كل منهما إلى قوم وعصر وحضارة ولغة غير التى ينتمى إليها الآخر.

يعتقد العقاد أن المتنبى سبق نيتشه إلى أخص آرائه، أخلاق السادة وأخلاق العبيد، ويستشهد ببيت المتنبى القائل:

العبد ليس لحرٍ صالحٍ بأخٍ لو انه فى ثياب الحرّ مولود

ومن قبيل ذلك، ولكن أظهر منه للتقسيم، هذا البيت.

وما فى سطوة الارباب عيبٌ وما فى ذلة العبدان عارُ

والمتنبى كصاحبه يأنف من المساواة ويأبى أن يقف دون النهايات من الفضائل والمراتب، فنيتشه يعد المساواة ظلماً ويرى العدل أن تختلف الأقدار بين الناس ويفرض على الإنسان أن يفوق نفسه ويتخطى أفقها إلى أفق أعلى منه على الدوام. والمتنبى يحتقر أن يرضى بالحظ الجليل إذا ساواه فيه من هو دونه ويأبى الصيد الشهى إذا تلاقت عليه كرام الطير وبغاثها. وينتهى العقاد إلى أنهما (نيتشه

والمتبنى) مبدعان لا تابعان فى الأخلاق والأقدار.[٣٤]

ويشير العقاد فى دراسة ثالثة بعنوان «فلسفة المتنتبى بين نيتشه وداروين» أن المتنبى وفق بين نيتشه وداروين فى تعليل بواعث الأخلاق ومصادر الفضائل. لأنه ألف بين إيثار الحياة وإيثار السيادة فى وسط الطريق، وأبطل التناقض وأزال الخلاف لأنه قال لنا إن كل إنسان إنما يحب حياته هو، لا كل حياة ولا أى حياة... إن مدار التوفيق المتبَنَّى بين رأيَىْ داروين ونيتشه مداره على أن بعض الحياة شر من بعض الموت وأن الجرىء المخاطر يحب حياته حين يوجهها إلى وجهتها من اقتحام المصاعب وملاقاة الخطوب[٣٥]

وبعد هذا العرض السريع لما كتب أو بعض ما كتب، عن نيتشه فى العربية يتضح لنا أن عمل بدوى الأول عن نيتشه جاء بعد كتابات متعددة عن الفيلسوف الألمانى، ومن هنا فالسؤال الذى يهمنا فى هذه الدراسة هو: ما السبب فى كون دراسة بدوى عن نيتشه أثرت كل هذا التأثير الذى ألمحنا إليه من شهادات المثقفين العرب الذين تسرب إليهم حماس بدوى لأفكار نيتشه؟.

هناك بعض الملاحظات المبدئية على الكتابات السابقة توضح الاختلاف بينها وبين ماقدمه بدوى، سواء فى موضوع الاهتمام وطريقة التناول:

الملاحظة الأولى: يغلب على الكتابات السابقة على عمل بدوى التناول الأدبى، حيث مثل كتاب «هكذا تكلم زرادشت» الاهتمام الأساسى لدى معظم من كتب عن نتيشه أو ترجم بعض مقاطع الكتاب، وهذا الاهتمام أدى بمعظم من كتب عن نيتشه الوقوف عند أحداث حياته وعلاقاته بمعاصرية. وتناول أفكاره شعراً أو استدعاء أشعار تتفق مع هذه الأفكار[٣٦]

والملاحظة الثانية: والهامة، هى محاولة رد نيتشه إلى حظيرة الدين وتفسير إلحاده بإيمان عميق مستتر، وهى محاولة نجد نظيرها فى تاريخ الفلسفة حين تناول كارل ياسبرز، الفيلسوف الوجودى المؤمن، أفكار نيتشه بما يقربه من المسيحية[٣٧] وهذا ما حاوله كل من فليكس فارس فى تمهيده لترجمة (هكذا تكلم زدادشت) وحاوله من بعد بولس سلامة فى الفصل الذى عقده عن نيتشه فى كتابه «الصراع فى

الوجود»[٣٨]

والملاحظة الثالثة: أن تقديم نيتشه إلى العربية كان يهدف إلى بيان دور نيتشه فى تجديد الأفكار ودعوته للرقى والتقدم ورفض القديم، ومن هنا أكد كل من فرح أنطون وفليكس فارس وإسماعيل أدهم على أهمية أفكار نيتشه فى رقى العقول ونهضة الشرق. أراد بدوى بتقديم نيتشه إلى العربية أن يقدم لنا خلاصة الفكر الأوروبى، وقد اختار من موضوعات هذا الفكر ما يمثله أحسن تمثيل ويعبر عن سموه أصدق تعبير من الفلاسفة. ومن هؤلاء لم يختر بدوى إلا أقدرهم على الإلهام وعلى إثارة التفكير وأقربهم إلى روح العصر، وأعظمهم أثراً فى تطور أوروبا الروحى وأشدهم عناية بمشاكل الإنسانية الحقيقية، وأحرصهم على أن يكون فكرهم حياً ينبض بدماء الحياة خصباً يقدر على النمو من بعدهم والإنتاج، جريئاً يهاجم المشكلات، حراً يبدد ما قدس من الأوهام. ومن هؤلاء اختار صورة نيتشه وهى كما يقول: «صورة حية قوية فيها عنف وفيها قسوة، وفيها تناقض وفيها اضطراب وفيها خصب وفيها حياة» وإذا سألنا: لماذا سعى بدوى إلى تقديم هذه الصورة؟:

يريد بدوى أن يعرض على أبناء هذا الجيل - عن طريق هذه السلسلة - العقل الأوروبى وهو يناضل ويجاهد فى سبيل إيجاد نظرة فى الحياة وفى الوجود. من شأنها أن تخلق طابعاً ممتازاً من الإنسانية، وصورة جليلة سامية من صور الحضارة «نريد أن نبين لهم كيف يفكر هذا العقل ويبدع ويفكر ويخلق، وكيف يتطور فتتطور معه صور الوجود وقيم الحياة»[٣٩]. والحقيقة أن بدوى لا يهدف أن يؤمن أبناء هذا الجيل بمذاهب هذا الفكر، ولا يطلب منهم أن يسيروا فى الاتجاه الذى سار فيه، دون افتراق عنه أو محاولة لإنكاره ومخالفته. فلا يعنيه من أمر هذا الإيمان شىء، إنما الذى يعنيه حقاً هو أن يحملهم على أن يفكروا فيما فكر فيه العقل الأوروبى ويتأملوا فى المشاكل التى أثار، والحلول التى قدم، كى يتخذوا من هذا النظر وذلك التأمل والتفكير، دافعاً ومادة وأداة من أجل إيجاد هذه النظرة الجديدة التى باسمها سيعلنون ثورتهم الروحية المنشودة. يهدف بدوى - إذن - إلى ثورة روحية تعم أبناء هذا الوطن. وهذا موقف سياسى وليس علمياً يؤكد حقيقة انتماء بدوى إلى حزب

(مصر الفتاة) وقصائده الوطنية التى نشرها بمجلة الحزب وكتاباته السياسية التى تعبر عن موقفه السياسى، يأتى كتاب نيتشه فى هذا السياق وهو يهدف إلى التمهيد لإيجاد النظرة الجديدة التى على أبناء هذا الجيل أن يصلوا إليها.

إن الغاية التى يتغياها بدوى فى تصديره لكتاب نيتشه هى التأكيد على ضرورة الثورة الروحية. فليس من شك فى أن هذا الوطن فى أشد الحاجة إلى الثورة الروحية على ما ألف من قيم، وما اصطلح عليه حتى الآن من أوضاع؛ فى أشد الحاجة إلى أن يطرح مكانها نظرة أخرى، كلها خصب، وكلها قوة، وكلها حياة؛ وفيها تعبير واضح عن كل ما يخالج ضميره من مطامح نحو السمو ونحو العلاء وشعور حى نابض بالنزوع إلى تطور روحى هائل تصّاعد فيه قواه، مندفعة متوترة، حادة متوثبة، خالقة تبدع فى كل طور من أطوار هذا التصاعد صوراً للوجود خصبة سامية وقيما للحياة جليلة عالية: فى الإيمان بها الإيمان بإمكان خلق جيل من أبنائه عظيم، وفى تحقيقها تحقيق لنوع من الحضارة زاهر ممتاز[٤٠]. ويحدد لنا خصائص هذه النظرة «فلابد لهذه النظرة الجديدة أن تكون متفقة مع أحوال العالم الحاضر، محققة لمقتضيات هذا العصر، باذلةً جهدها فى التوفيق بين متناقضاتها. وفى حل ما تستطيع من مشكلاته حاسبةً حسابها لكل ما يعج به من مسائل وكل ما يضطرب فيه من أحداث... فلكى نضمن - إذن - لهذه النظرة الجديدة الحياة، ولكى تكون لها قيمة - حقاً - فى السمو بالحياة والارتفاع بدرجة الوجود، لامناص لنا من أن نجعلها شاملة تواجه كل مشاكل هذا العصر بكل ما فيه من إشكال ومن تعقيد[٤١].

إذا توقفنا أمام تصدير بدوى - وهو تصدير ذو دلالة - لظهرت لنا دلالة اختيار نيتشه، فمن سلسلة الفلاسفة فى خلاصة الفكر الأوروبى، وهى دلالة سياسية أيديولوچية، تهدف إلى ما يسميه بدوى: القيام بثورة روحية اقتضتها ظروف الحرب، فإذا كانت الحرب الماضية (العالمية الأولى) قد هيأت الفرصة لهذا الوطن كى يثور ثورته السياسية، فلعل هذه الحرب الحاضرة أن تكون فرصة تدفعه إلى القيام بثورته الروحية. وبدوى ليس بعيدا عن الأحداث السياسية، فهو مسئول العلاقات الخارجية بحزب (مصر الفتاة). يستشعر خطر الحرب القادمة ويكتب عنها ويراها تكشف

عورات المذاهب السياسية المختلفة المخالفة. وهنا يكون التعرف على الفكر الأوروبى هادياً لأبناء هذا الجيل فى البحث عن الحلول، ومن أعلام هذا الفكر يكون نيتشه. وإذا تساءلنا لماذا نيتشه بالتحديد؟ قد يخطر على الذهن تشابه فى التكوين الفكرى بين المفكر العربى والفيلسوف الألمانى. وإذا كان ذلك كذلك فما هى أوجه التشابه بينهما؟ وما هى مكانة نيتشه فى فكر بدوى؟ علينا أن نشير- قبل تحليل ما بينهما من تشابه انطلاقاً من كتاب بدوى عن نيتشه - إلى ضرورة أن نميز بين عرض بدوى المبكر للفيلسوف الألمانى فى كتابه الأول، وبين الإشارات التى ذكرها عنه فى كتاباته التالية وهى إشارات قليلة موجزة ولكنها ذات توجه أساسى فى تكوين بدوى الفلسفى تختلف تماماً فى توجهها عما فى كتابه الأول؛ الذى نعده أقرب إلى الثقافة السياسية التى يتبناها ويدعو إليها بدوى. وإن كان لا يخلو - كما سنرى - من بعض الأفكار الفلسفية التى شغل بها المفكر العربى فى فترة إبداعه الأولى.

يستهل بدوى كتابه بقصيدة نيتشه التى تعبر عن دورة التطور؛ دقات الساعة الاثنتا عشرة؛ وأى شىء أقدر من الساعة على التعبير عن الحياة والكشف عن نسيجها العضوى الحى؟ ذلك لأنها رمز الزمان ومقياسه. إن الزمان موضوع اهتمام بدوى الأساسى، هو السطور الأولى التى يفتتح بها كتابه عن نيتشه «فيلسوف الحياة» فليس فى وسع المرء أن يصف حياة الفرد وصفاً دقيقاً، إلا إذا استعان بالزمان فى وصفه، فصور هذه الحياة على شكل تطور، له أدواره ولكل دور طابعه ورسمه»[٤٢]. يصف بدوى حياة نيتشه من خلال الزمان، ونيتشه ممن يجمعون بين حياتهم وفكرهم فى نسيج واحد. الذين يحيون أفكارهم قبل أن تنتجها عقولهم وقبل أن يعرضوها على الناس.

وإذا كانت الساعة فى دقتها الأولى تدعونا إلى دراسة نيتشه «الإنسان». فإن وصف بدوى له يستحق التحليل، ففى كثير من فقرات الكتاب التى يعرض فيها بدوى أفكار وأقوال نيتشه يتوقف منبهاً أن نتيشه - وهو يكتب هذا الكلام - لم يكن يصف غير نفسه، ويستوحى غير طبيعته أو يقول ما أصدق هذا الكلام بالنسبة لنيتشه[٤٣]. وأشعر - وقد يوافقنى القارئ فى ذلك - أن كثيراً من هذه العبارات تصدق بنفس

القدر على بدوى نفسه. يقول وهو يتحدث عن نوعين من الوحدة تفرق بينهما اللغة الألمانية: الوحدة المؤلمة التى يجد المرء فيها نفسه، والاعتزال الاختيارى، وهو الانسحاب الإرادى إلى دائرة وجوده، وفيه يشعر المرء بنفسه وذاته شعوراً قوياً. «والنوع الثانى هو الانسحاب الإرادى، هو وحده الذى نعنيه - هنا - حين نتحدث عن الوحدة عند المفكرين وأصحاب الفن. فهو وحده الشرط الجوهرى لكل إنتاج وكل خلق فكرى أو فنى»[٤٤]. لن نتسرع لنعقب بأن بدوى هنا وهو يصف نتيشه وكبار المفكرين إنما يصف نفسه ويفسر لنا غربته أو انسحابه الاختيارى، بل علينا أن نواصل وصفه للوحدة عند نيتشه. وهو يفعل ذلك باستخدام كلمات نيتشه فى أحد خطاباته الذى يقول فيه:

أشعر بأنه قضى علىَّ بالوحدة حتى أصبحت حصنى الحصين. وليس لى فى هذا الآن أى اختيار. وإن مايدعونى إلى الاستمرار فى الحياة من واجب ضخم سامٍ لا مثيل له، يدعونى أيضاً إلى تجنب الناس وعدم التعلق بشخص ما من الأشخاص.»[٤٥] سوف نتخذ من تعليق بدوى على نتيشه تعليقاً عليهما معاً، يقول بدوى: «ليتخذ من الوحدة وعدم إقبال الناس عليه وحبهم له دليلاً على سموه، ومجالاً للزهو والكبرياء.»[٤٦]

يشعر نيتشه بذاته (وهذا ما ينطبق على بدوى نفسه) شعوراً مفرطاً قوياً، ويعتد بنفسه اعتداد كبيراً، حتى أصبح يعتقد أنه قادر على التأثير فى العالم كله تأثيراً كبيراً جاسماً».[٤٧] إن الطابع الرئيسى السائد فى طبيعة نيتشه - والتى يلخصها أحسن تلخيص - هو الامتياز الخارق، الممتلئ شعوراً بذاته، المتفانى فى الإخلاص لرسالته»، امتياز يجعل من حياته حياة غريبة شاذة لا يكد تاريخ الإنسان الروحى أن يجد لها مثيلاً ولا قرينا؛ ومن وجوده مأساة هائلة رائعة... وبطلها شخص مفرد احتملها كلها وحده، وكانت الوحدة وطنه وقصره الشامخ المخيف؟وامتلاء يحمله على الاستقلال المطلق، والجرأة التى تكاد تبلغ حد الوقاحة، وفرض الإرادة والشخصية فرضاً يشعر الناس بإزائها شعورهم وهم فى جوار بناء ضخم يتحدى السماء، فيبتعدون عنه خائفين من أن ينقض عليهم، ويحيا هو فريداً ليس بجواره إنسان».[٤٨]

النتيجة الثانية التى نريد أن نصل إليها- والتى تفصح عنها الفقرات السابقة، من وجهة نظرنا - هى التشابه بن نظرة نيتشه لنفسه وبين نظرة بدوى لذاته: الوحدة، العزلة، الابتعاد عن الناس، والنظرة الدونية لهم، والإحساس بالواجب والمهمة والغاية التى وجد كل منهما من أجلها. ظهرت لدى بدوى فى انتمائه السياسى لمصر الفتاة. والسؤال: كيف لمفكر يشعر بهذا الامتياز الخارق أن يقوم بعمل سياسى، والعمل السياسى بطبيعته ومن أول لوازمه التعامل مع الجماهير؟ هل هذه النظرة للذات هى التى غيرت قليلاً من أسلوب وطريقة إنجاز بدوى لمهمته وهى إحداث ثورة روحية بين أبناء هذا الجيل وتحويلها من العمل السياسى إلى العمل الفلسفى؟ إن ما سعى إليه بدوى فى السنوات الخمس التالية هو إنجاز مشروع فلسفى وضع الأسس الأولى له فى بداية الأربعينيات وسعى بعد ذلك لتطويره.

علينا إذن أن نعرض لموقف بدوى من نيتشه، ليس من خلال «خلاصة الفكر الأوروبى» باعتباره صورة حية نابضة قلقة متوترة تساعدنا فى إبداع نظرة للحياة والوجود - بصفة عامة - بهدف إحداث ثورة روحية بين أبناء هذا الجيل، بل من أجل إبداع نظرة فلسفية متعمقة أطلق عليها بدوى اسم «الزمان الوجودى». وكان نيتشه - فى هذه النظرة - خطوة فلسفية ممهدة لما يذهب إليه بدوى.

فى رسالته للماجستير - التى نوقشت فى نوفمبر ١٩٤١ - يحلل بدوى مشكلة الموت وينكر على المسيحية إدراك الموت إدراكاً حقيقياً ، ذلك أن نظرتها للموت بوصفه شراً جعلتها تنظر إليه على أنه مضاد للحياة، ولكى تكون النظرة للموت صحيحة يجب أن نجعل الموت جزءاً من الحياة، وهذا ما فعلته فلسفة الحياة؛ خصوصاً عند أشهر ممثليها من الألمان، نعنى نيتشه وزمل. فقد قال نيتشه: «حذار أن تقول إن الموت مضاد للحياة».[٤٩] إن نيتشه هنا يمثل خطوة فى تفكير بدوى فى مشكلة الموت.

ونفس الأمر نجده فى رسالة بدوى للدكتوراة عن (الزمان الوجودى) - وهو ما يمثل بالنسبه له إنجازه الفلسفى - ففى القسم الثانى من كتابه يتناول بدوى الوجود الناقص مؤكداً «لا وجود إلا بالزمان، والزمان سر التناهى، فكل وجود لفناء».

فالوجود نوعان: فيزيائى وذاتى؛ الثانى وجود الذات المفردة، والأول كل ما عدا الذات، سواء أكان ذاتاً واعية أم كان أشياء. فالوجود الذاتى وجود مستقل بنفسه فى عزلة تامة - من حيث الطبيعة - عن كل وجود للغير. ويرى أن الفكر الحديث صراع بين الذات والموضوع من أجل تحرر الأول من الثانى؛ صراع بلغ أوجه فى المثالية الألمانية التى كاد أن يتم على يديها هذا التحرر. ولكنها - بدلاً من تؤكيد الذات الفردية - استبدلت بها ذاتاً كلية مطلقة كما عند هيجل، وساركيركجورد خطوة أخرى فى هذا السبيل، ولكن نحو توكيد الذات الفردية وتلاه نيتشه - وهو ما يهمنا - فتقدم فى طريق الذاتية المفردة بسرعة أكبر. ولكنهما لم ينتهيا - فى الواقع - إلى تأكيد الذات المفردة بالمعنى الوجودى الخالص، نظراً لتأثر كليهما بنزعات غير وجودية. فالأول سادت تفكيره نزعة دينية مما جعل نظرته مشوبة بصبغة تقويمية ظاهرة منذ البداية. وطابع التقويم هذا نجده كذلك عند نيتشه وبشكل أكثر صراحة ووضوحاً. فإنه حينما يتحدث عن الذات المفردة، إنما يفكر دائماً فى الإنسان الأعلى، ولذا غلب عليه هذا التفكير، فلم يظفر، أو لم يأتنا، بنظرة فى وجود الذات المفردة من حيث طبيعتها فى الوجود، لا من حيث ما يجب أن تفعله لتبلغ كمالها وتحقق علاها بذاتها فوق بقية الذوات الأخرى. فضلاً عن هذا فإن كليهما لم يُقم مذهباً واضح المعالم على أساس وجود الذات المفردة»[٥٠] وهو ماسعى إليه بدوى فى عمله هذا.

يمثل نيتشه - إذن - خطوة فى اتجاه بدوى الفلسفى، يضع الأساس ويكمل بدوى البناء. هنا تختلف لغة بدوى التحليلية النقدية عن لغته فى كتابه عن نيتشه التى يختلط فيها الأدب بالفلسفة حتى نظنه شاعراً يهيم حماساً بموضوعه

يقدم لنا بدوى فى هذا القسم من كتابه «الزمان الوجودى» لوحة مقولات جديدة؛ مقولات العاطفة ومقولات الإرادة، ومنها (الخطر) فالمقولة الأولى للإرادة هي الخطر أو المخاطرة: الخطر بوصفه صفة للوجود، والمخاطرة بوصفها فعلاً لمن يتعلق بهذه الصفة. وهذا ما أدركه نيتشه تمام الإدراك فجعل الإرادة فى أصلها إرادة الخطر؛ وعنده أن الحياة - بوجه عام - معناها الوجود فى خطر... ولا يقتصر نيتشه على توكيد ضرورة الخطر بالنسبة للإرادة وحدها. بل وأيضاً بالنسبة إلى المعرفة.[٥١]

وينطلق بدوى من نيتشه إلى تحليل مقولة الخطر تحليلاً وجودياً فى إطار مذهبه الفلسفى الوجودى.

لعلنا الآن ميزنا بين عاملين أساسيين فى تعامل بدوى مع نيتشه. الأول هو نيتشه الفيلسوف المفكر الداعية صاحب الرسالة التى تبشر بالإنسان المتفوق الممتاز الذى وجد فيه بدوى تعبيراً عن ذاته فى كتابه عن «نيتشه». والثانى هو تعامل بدوى مع أفكار نيتشه من أجل صياغة مذهبه الوجودى الذى ظهر فى «الزمان الوجودى». والذى توقف اهتمامه به فى كتابه «دراسات فى الفلسفة الوجودية» الذى يقدم فيه بدوى خلاصة مذهبه الوجودى، والذى لم يخصص فيه دراسة عن فيلسوفه الذى أصدر عنه أول كتبه. معنى ذلك - بالنسبة لنا - أن هناك مجالين أراد من خلالهما بدوى تحقيق ذاته وتأكيد امتيازه: **الأول** هو الدعوة السياسية **والثانى** هو الفكر وتأسيس المذهب الفلسفى. وكان نيتشه فى كلا المجالين هو نقطة الانطلاق. ويتجلى توجه بدوى الفلسفى، والذى لا يظهر الا عرضاً فى كتابات بدوى، وهى - بلغة ما بعد الحداثة - المسكوت عنه فى خطاب بدوى الفلسفى.

يستشهد بدوى (فى كتابه شوبنهور) بآراء نيتشه وهو يتحدث عن سمو المفكر العقلى؛ فالمفكر الذى يكرس نفسه للإلهام الفكرى الفلسفى لا يبقى مجالاً فيها لأى إلهام سياسى، فخليق به - إذن - أن يدع السياسة والحزبية. ويبين دور كل من المفكر تجاه الدولة والدولة تجاه المفكر – ومع هذا وقبله – على المفكر ألايتردد لحظة واحدة فى أن يأخذ مكانه وسط الصفوف فى الجبهة حين يرى وطنه فى خطر حقيقى: فهذا واجب أولى لا صلة له بالسياسة. وعلى الدولة أن تدع المفكر وشأنه. ففى اهتمام الدولة بالفلسفة خطر على الفلسفة مابعده خطر. وما يسمى «حماية الدولة للفلسفة» هو فى الواقع حكم عليها بالإعدام: لأن الفيلسوف سيصير - حينئذ - عبداً من عبيد الدولة يأتمر بأمرها ويفكر لحسابها وعلى النحو الذى تهواه فيجعل الدولة فوق الحق، أى يقضى على كل فلسفة. فالدولة مصدر ثبات، وأبغض شىء بالنسبة لها التغير والصيرورة، فستكون إذن عدوة عنيدة لكل جدة فى الفكر، أى أنها ستكون خصماً لطبيعة الفلسفة نفسها وجوهرها الحقيقى.(٥٢)

يفسر لنا بدوى ذلك على ضوء فلسفة نيتشه، فالدولة لا تحمى من الفلسفة إلا قليلة الخطر، المسالمة، أى أنها لا تحمى إلا أحطها وأدناها وأجدرها بأن لا تسمى باسم الفلسفة، لأن الفلسفة الحقة هى الفلسفة الخطرة، هى تلك التى «تؤذى» وتجرح، ومعنى هذا أنها تحمى الفلسفة الوضيعة وتعمل على القضاء على الفلسفة الممتازة. وهذا أشد خطر يمكن أن تتعرض له. والسبب فى ذلك كما يرى بدوى أن الدولة لا يمكن أن تعيش إلا على طائفة من المبادئ السهلة العامة الشعبية، ولاتسمح بالخروج عليها أو تعمقها والبحث فيما وراءها. ويستشهد بقول نيتشه: «إن الفيلسوف الذى يرضى لنفسه أن يكون فيلسوف الدولة يجب أن يرضى لنفسه أيضاً أن ينظر إليه باعتباره أنه أنكر على نفسه (حق البحث) فى الحقيقه كلها، وبكل ما تحتوى عليه من أسرار. كما أن الدولة إذا جعلت لنفسها (فلسفة رسمية) فسيكون لها وحدها الحق فى اختيارها، أى أن الدولة ستضع نفسها موضع الحاكم الذى يستطيع أن يميز بين الفلسفة الجيدة والفلسفة الرديئة. ومتى كانت الدولة قادرة على شىء من هذا! إنها لا يمكن أن تختار، حتى لو سلمنا بأن فى مقدورها التمييز، إلا تلك التى تلائمها وتتفق مع الأغراض التى تتوخاها، سواء أكانت هى الجيدة أم كانت الرديئة، فلا يعنيها من هذا شىء»(٥٣).

إن هذا الفهم لقضية السلطة، وهى مشكلة فلسفية، ازداد الاهتمام به خالياً، خاصة لدى ميشيل فوكو، شغلت تفكير فيلسوفنا منذ فترة مبكرة من حياته، وتناولها فى كتابة عن شوبنهور الصادر عام ١٩٤٢ انطلاقاً من رؤية نيتشه للعلاقة بين الفيلسوف والدولة. ولعل قضية استقلال المفكر عن الدولة – وهى مسألة صعبة بحيث إن أشد المفكرين معارضة للدولة انطوَوْا تحت سيطرتها بشكل أو بآخر– أقول ربما كانت هذه القضية وعدم حسمها هى السبب الرئيسى فى غربة ووحدة وعزلة مفكرنا الكبير. الذى علينا أن نذكره بما كتبه «إن المفكر يجب إلا يتردد لحظة واحدة فى أن يأخذ مكانه وسط الصفوف فى الجبهة، حين يرى وطنه فى خطر حقيقى: فهذا واجب أولى لا صلة له بالسياسة».(٥٤)

الهوامش والملاحظات:

١- راجع دراستنا (قراءة فى كتابات بدوى السياسية)، مجلة أدب ونقد، القاهرة، العدد ١٠٠

٢- د. عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٤ مادة (بدوى)

٣- محمود أمين العالم: الدكتور عبد الرحمن بدوى هل يسير فى طريق مسدود، فى كتاب الإنسان موقف، دار قضايا فكرية، القاهرة ١٩١ ص ١٢٤

٤- محمد عفيفى مطر: ابن رشد: شهادة من مقصورة المتفرجين، مجلة (ألف) العدد ١٦ عام ١٩٩٦ ص ١٦٣

٥- د. ماهر شفيق فريد: عبد الرحمن بدوى؟ دراساته فى الآداب الغربية. الكتاب التذكارى عن بدوى الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة - ١٩٩٧م

٦- ستيبان أورويف: على دروب زرادشت، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق ١٩٨٣

٧- راجع الدكتور عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة مواد: ديلتاى - ماكس شيلر - ازفلد شبنجلر - ألفريد باومار - فيبر - أوجين فينك - كارل ياسبرز - مارتين هيدجر. وكذلك كتابه (دراسات فى الفلسفة الوجودية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت. واشبنجلر، دار النهضة العربية، القاهرة

٨- فرح أنطون: الفيلسوف نيتيش وفلسفته، مجلة (الجامعة) الجزء الثالث، السنة السادسة أبريل ١٩٠٨ ص ٥٧

٩- المصدر السابق ص ٤٢

١٠- المصدر السابق ص ٤٣

١١- فرح أنطون: القصيدة على الجبل. مجلة (الجامعة) ص ٢١٢ - ٢١٨

١٢- المصدر السابق ص ١٠٢

١٣- المصدر نفسه ص ١١٥- ١١٦

١٤- إدوار منسى: بين فاجنر ونيتشه، (الثقافة) العددان ٦٥٤ - ٦٥٥، ص ٦ - ١١، ١٦ - ١٨ وهى نقل لما كتبه H.A.Reybun: (نيتشه... قصة الفيلسوف الإنسانى)

١٥- إدوار منسى: امرأة فى حياة نيتشه، (الثقافة): العدد ٦٦٥ ص ٢٦- ٢٨ و(الهلال) المجلد ٤٥ عام ١٩٣٧ ص ٨٨٥- ٨٨٨

١٦- دون توقيع (المقتطف): الفيلسوف نيتشه، (المقتطف) المجلد ٤٦ عام ١٩١٥ ص ٢٨- ٣٠

١٧- جيب جاماتى: جنون نيتيش، مجلة (الهلال) العدد ص ١٣٢١- ١٣٢٤

١٨- إبراهيم إبراهيم يوسف: (أثر نيتشه فى العصر الحاضر)، (المقتطف) المجلد ٩٠ مايو ١٩٣٧ ص ٥٨٥ - ٥٩٠

١٩- محمد فهمى (مترجم): (أغنية الليل) من (هكذا تكلم زرادشت) (المقتطف) يوليو ١٩٣٧ ص ٢٣١- ٢٣٢

٢٠- سلامة موسى: نيتشه وابن الإنسان، مجلة (المقتطف) المجلد ٣٤ عام ١٩٠٩

٢١- أحمد أمين: السوبرمان أو الإنسان الكامل، (الثقافة) العددين ٢٢٤- ٢٢٥

٢٢- عبد الحميد سالم: لما قرأت الفيلسوف نيتشه للناقد الفرنسى إميل فاجيه، مجلة (العصور)

المجلدات ١٥ - ١٨ نوفمبر ١٩٢٨ - فبراير ١٩٢٩
٢٣- عبد الحميد سالم. (العصور) أبريل ١٩٢٩ ص ٤٤٢- ٤٥٠
٢٤- فليكس فارس. تمهيد ترجمة كتاب نيتشه (هكذا تكلم زرادشت) ص ٢٢
٢٥- الموضع السابق
٢٦- المصدر نفسه ص ٧
٢٧- المصدر السابق ص ١١
٢٨- المصدر السابق ص ١٤
٢٩- د. اسماعيل أدهم: (هكذا تكلم زرادشت) ترجمةالأستاذ فليكس فارس، (الرسالة) يونيه ١٩٣٨ ص ١٧٩٩
٣٠- المصدر السابق ص ١٨٣٧
٣١- المصدر السابق ص ١٨٣٩
٣٢- المصدر السابق ص ١٨٤٠
٣٣- العقاد: فلسفة المتنبى. (البلاغ) ٣١ ديسمبر ١٩٢٣
٣٤- العقاد: فلسفة المتنبى وفلسفة نيتشه، (البلاغ) ٧ يناير ١٩٢٤
٣٥- العقاد: فلسفة المتنبى بين نيتشه وداروين (البلاغ)
٣٦- نشير إلى ما قدمه فرح أنطون (القصيدة على الجبل) وكذلك ما قدمه بولس سلامة: (الصراع فى الوجود)، دار المعارف - ١٩٥٢- . وما أورده العقاد من أبيات المتنبى التى تتماثل مع أفكار نيتشه
٣٧- انظر عرض الدكتور حسن حنفى لهذه المحاولة فى بين ياسبرز ونيتشه (الفكر المعاصر)، القاهرة أكتوبر ١٩٦٩ العدد ٥٦ وكذلك فى كتابه (قضايا معاصرة)الجزء الثانى - دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٧٥ - ٣٩٧
٣٨- بولس سلامة، المصدر السابق ص ٢١٧- ٢١٨
٣٩- بدوى: نيتشه. مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة ١٩٦٥ ص (ل).
٤٠- المصدر السابق ص (ط)
٤١- المصدر نفسه ص. (ك)
٤٢- المصدر نفسه ص ٥
٤٣- المصدر السابق ص ٢٧، ٨٦
٤٤- المصدر نفسه ص ٨٤
٤٥- المصدر نفسه ٩٤- ٩٥
٤٦- الموضع نفسه
٤٧- المصدر السابق ص ١٠٥
٤٨- المصدر نفسه ص ١١٧
٤٩- بدوى: (مشكلة الموت فى العبقرية والموت)، وكالة المطبوعات، الكويت ص ١٧ - ١٨
٥٠- بدوى: الزمان الوجودى، دار الثقافة بيروت ص ١٥٤
٥١- المصدر نفسه ص ١٨٢ - ١٨٣
٥٢- بدوى: (شوبنهور)، دار النهضة العربية القاهرة ط ٣ عام ١٩٦٥ ص ٨
٥٣- المصدر السابق ص ٨ - ٩
٥٤- المصدر نفسه ص ٨.